العرب
الأحد 2021/09/19
السنة 44 العدد 12184

التفجيرات الانتحارية تختبر قدرة طالبان على الإمساك بالملف الأمني

منع الفتيات من المدارس يزيد من الشكوك في أن الاعتدال مجرد مناورة

التشدد حقيقة طالبان الوحيدة

الضغوط على طالبان تبدأ في التوسع ما يساعد العالم على اكتشاف حقيقة أفكارها وخططها، فهل ستكون قادرة على أن تكون جزءا من الحرب على الإرهاب، أم أن الأمر لا يتجاوز مجرد تصريحات دعائية لسكب ثقة الأميركيين؟ وهل فعلا تغيرت الحركة نحو "الاعتدال" أم أن ذلك مجرد غطاء لأفكارها المتشددة؟

كابول - قُتل شخصان على الأقل وأصيب 19 آخرون السبت في ثلاثة تفجيرات في مدينة جلال أباد كبرى مدن شرق أفغانستان، في موقف يعتبر بمثابة تحد لحركة طالبان ومدى قدرتها على الإمساك بالملف الأمني في البلاد وجدية تعهدها للدول الغربية بمواجهة الإرهاب. كما أنه يمثل اختبارا للوسيط الرئيسي قطر التي تسعى لإظهار طالبان في صورة القوة العسكرية والمجتمعية القادرة على قيادة أفغانستان وضمان مصالح الجميع، وخاصة أوروبا والولايات المتحدة.

يأتي هذا في وقت يظهر فيه سلوك طالبان على الأرض، وخاصة استهداف النساء، أن الحركة لم تتطور وأن اعتدالها السياسي ليس سوى مناورة للحصول على الاعتراف والمساعدات الدولية.

> السؤال الأكثر إلحاحا هل إن طالبان مستعدة فعلا لمحاربة من تلتقي معهم دينيا ومذهبيا ويحملون نفس الأفكار المتشددة

ووقعت ثلاثة انفجارات في جلال أباد كما صرح مسؤول في طالبان. وأوضح المسؤول أن الهجوم الأول الذي استهدف سيارة لطالبان كانت تقوم بدورية في المدينة، أسفر عن "مقتل شخصين على الأقل وإصابة 20 آخرين".

وأفاد مسؤول من دائرة الصحة في ننغرهار، وعاصمتها جلال أباد، عن مقتل ثلاثة أشخاص وجرح 18 آخرين في التفجيرات.

وتعتبر جلال أباد أبرز معقل لجهاديي تنظيم الدولة الإسلامية في أفغانستان، خصوم طالبان الذين تبنوا الهجوم الدموي الذي أودى بحياة أكثر من 100 شخص في مطار كابول في السادس والعشرين من أغسطس الماضي.

وعادت حركة طالبان إلى السلطة منتصف أغسطس بعد انسحاب القوات الأميركية وانهيار الحكومة التي دعمتها. وتعهدت بإرساء السلام والأمن، معتبرة أن نهاية الوجود العسكري الغربي ستجعل من الممكن إنهاء العنف الذي تشهده البلاد منذ عقود.

وحتى وقوع هذه الهجمات، كانت الحياة بدأت تستأنف مسارها الطبيعي، بعيدا عن المشاهد الفوضوية لعمليات الإجلاء في أواخر أغسطس في مطار كابول.

واستؤنفت أولى الرحلات الجوية التجارية الدولية هذا الأسبوع، خصوصا مع باكستان وإيران.

ويقول مراقبون إن طالبان التي رفعت شعار محاربة داعش – خراسان لإظهار جديتها في الحرب على الإرهاب تجد الآن نفسها في وضع صعب، فهل تقدر فعلا على هزيمة المتطرفين الذي سحقتهم في السابق حين كانت تقاتل الحكومة المعترف بها دوليا، أم أنها يمكن أن تتركهم كورقة تقايض بها الأميركيين؟

وأعلن حكام أفغانستان الجدد أنهم لن يتسامحوا مع مواصلة تنظيم الدولة الاسلامية هجماته. ويقول الملا ندا محمد الذي أصبح حاكم ولاية ننغرهار الاستراتيجية "لن يكون لهم ملاذ معنا، نحن نلاحق مقاتليهم المختبئين". وأضاف "لقد حاربناهم ولم يعودوا كثيرين، ومنذ وصولنا إلى السلطة (في جلال آباد)، أوقفنا 70 إلى 80 من مقاتليهم".

ويقول المراقبون إن الوضع مختلف، فالحركة حين قاتلت خصومها كانت المعارك محدودة في الزمان والمكان، ولم تكن حربا ذات أولوية، لكن الآن الوضع مختلف، فطالبان سيتحول مقاتلوها إلى قوات نظامية وسيكونون مطالبين بخوض حرب في مناطق مختلفة في نفس الوقت، وهو ما سيقود إلى استنزافهم.

لكن السؤال الأكثر إلحاحا هل إن طالبان مستعدة فعلا لمحاربة من تلتقي معهم دينيا ومذهبيا ويحملون نفس الأفكار المتشددة، أم أن الحديث عن مواجهة الإرهاب لا تعدو أن تكون إلا مناورة لربح الوقت واختراق الموقف الدولي الهش والذي تسيطر عليه رغبة في التسليم بالأمر الواقع.

عودة ذكورية إلى المدارس

بعد عشرة أيام من إعادة فتح الجامعات الخاصة في البلاد، سُمح فقط للفتيان بالعودة إلى المدارس الإعدادية والثانوية في أفغانستان السبت في إجراء أعربت منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف) عن أسفها له وحضت نظام طالبان على عدم ترك الفتيات دون تعليم.

وأكدت اليونيسف في بيان "ضرورة أن تتمكن جميع الفتيات والنساء، بمن فيهن الأكبر سنا، من استئناف تعليمهن دون مزيد من التأخير، وأن تتمكن المعلمات أيضا من مواصلة التدريس"، مشيرة إلى "التقدم الكبير الذي تحقق في البلاد على مدى العقدين الماضيين".

في عشرين عاما، ازداد عدد المدارس ثلاث مرات وارتفع عدد الأطفال الملتحقين بالمدارس من مليون إلى 9.5 ملايين، وفقا لليونيسف.

ويخشى أن يؤجج هذا الغموض قلق جزء من الأفغان والمجتمع الدولي خشية تكرار ما حدث عندما تولت الحركة المتزمتة السلطة بين عامي 1996 و2001.

النهي عن المنكر

اتبعت الحركة الإسلامية حينها سياسة قاسية بشكل خاص تجاه النساء اللواتي لم يُسمح لهن بالعمل أو الدراسة أو ممارسة الرياضة أو الخروج بمفردهن إلى الشارع.

وبعد رحيل طالبان إثر تدخل تحالف دولي بقيادة الولايات المتحدة، تمكنت النساء تدريجا من استعادة حقوقهن الأساسية وشغل الوظائف التي كانت محظورة عليهن مثل منصب قاضية أو برلمانية أو قائدة طائرة.

في المدرسة الثانوية الفرنسية الأفغانية "استقلال كابول"، شكّل استبعاد الفتيات والمدّرسات تحديا السبت.

وقال المدرّس غول محمد فروتان لوكالة الصحافة الفرنسية "المدرسة يجب أن تكون للجميع، الفتيان والفتيات. البلد الذي لا يسمح بذلك عليه أن يتحمّل تداعياته. ستحتاج البلاد إلى مدرّسين ومهندسين وأطباء (...) لذلك ستكون هناك حاجة إلى فتيات في المدرسة".

ووفقا لمسؤول في المدرسة لم يرغب في كشف هويته، ستواجه المدارس نقصا في الأساتذة. وأوضح أن "معظم المدرسين نساء ولا يسمح لهن بالمجيء في ظل النظام الجديد، هذا سيخلق لنا مشكلات".

كذلك، دعت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) السبت إلى إعادة فتح المدارس للفتيات في أفغانستان، محذرة من "عواقب" على نصف سكان البلاد.

وقالت منظمة اليونسكو في بيان "إذا استمر هذا الحظر (للفتيات)، سيشكل ذلك انتهاكا جسيما للحق الأساسي في التعليم للفتيات والنساء".

ومنذ عودتها إلى السلطة، حاولت طالبان طمأنة المجتمع الدولي من خلال إعلانها أنها ستضمن احترام حقوق المرأة، من بين أمور أخرى.

لكن هذه المزاعم ضعفت في الأسابيع الأخيرة بسبب العديد من القرارات التي اتخذتها الحكومة الأفغانية الجديدة.

ففي حين سُمح للنساء بالدراسة في الجامعة فرض عليهن ارتداء العباءة والحجاب على أن يتم الفصل قدر الإمكان بين الجنسين في قاعات المحاضرات.

ولم تُعيّن أيّ امرأة في الحكومة المؤقتة التي شُكلت في أوائل سبتمبر.

أما وزارة شؤون المرأة السابقة فيبدو أنه تمت الاستعاضة عنها لتحل محلها وزارة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي كانت مرهوبة الجانب بسبب تشددها.

من جهته، أعلن رئيس الوزراء الباكستاني عمران خان أنه بدأ محادثات مع طالبان، وهي مقربة من إسلام أباد، من أجل أن تشمل حكومتها الجديدة ممثلين لمجتمعات إثنية أخرى (طاجيكية وهزارة وأوزبكية خصوصا).

وتعرضت طالبان لانتقادات بعد إعلان حكومتها الانتقالية لافتقارها للتنوع إذ شكّلت الحكومة بشكل شبه حصري من مسؤولين في نظامها السابق والبشتون، المجموعة الإثنية التي تنتمي إليها الحركة.

رسائل قمة شنغهاي

دعت روسيا والصين وباكستان وقوى إقليمية أخرى الولايات المتحدة الجمعة للحوار مع طالبان وتقديم التمويل والمساعدات إلى أفغانستان، وحثوا الحركة في الوقت نفسه على تسليم السلطة إلى حكومة أكثر شمولا. لكن هل الحركة مستعدة فعلا للتفاعل مع مطالب هذه القمة؟ وهل تقدر على إشراك الأقليات الأخرى في الحكم؟

وهيمن مصير أفغانستان على قمة منظمة شنغهاي للتعاون، التي تأسست قبل 20 عاما لتكون منتدى للحوار بين روسيا والصين ودول الاتحاد السوفييتي السابق في وسط آسيا، لكنها تطورت في وقت لاحق إلى تكتل له طموحات إقليمية أكبر. وانضمت الهند وباكستان إلى المنظمة في 2017 وانضمت إيران أول أمس الجمعة.

وقال زعماء المنظمة إن مسؤولية الغرب بوجه عام والولايات المتحدة على وجه الخصوص هي المساعدة في منع كارثة إنسانية في أفغانستان حيث كانت مساعدات الغرب تدعم الحكومة التي أطاحت بها طالبان في الشهر الماضي.

ويعتقد مراقبون أن طالبان تلعب على واجهات متعددة لكسب الاعتراف، وأنها تضع ساقا مع الغربيين الذين توهمهم قطر بأنها ممسكة بالحركة ومتحكمة بقرارها، وساقا أخرى مع الصين وتوحي لدول الجوار بالرغبة في التعاون.

المبشرون بالعراق الجديد

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

صحفٌ وفضائيات ومواقع إنترنت معينة، حكومية عربية في أغلبها، تخوض في الشأن العراقي، بحسن نية أو بدونه، وتبشر بولادة عراق جديد في أعقاب الانتخابات التي ستجرى بعد شهر من الآن.

ولأن أصحابها وكتابها ومحلليها ليسوا من سكان مكة الأدرى بشعابها فهم متفائلون، ويطالبون العراقيين بأن يتفاءلوا مثلهم بالخير لكي يجدوه، منطلقين من إيمانهم بأن رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي معارض حقيقي للفصائل المسلحة التابعة لإيران، وبأنه بجدية وإصرار وشجاعة "يتكتك" من أجل إخراج العراق من الأسر الإيراني، وإعادته إلى سابق عهده السعيد.

وهنا ينبغي لنا أن نُذكر هؤلاء المتفائلين بحقيقة أن الشعب العراقي أكثر شعوب الدنيا تفاؤلا وتعلقاً بغدٍ أفضل يحقق له الحرية والكرامة والرخاء.

ولكنْ للتفاؤل مكونات وأدوات وعوامل. ونسألهم، هل إنهم رأوا الحالة العراقية الراهنة من داخلها، وتتبعوا أسرارها مثلما يفعل العراقيون؟

وإذا ما فعلوا ذلك هل سيظلون مقتنعين، حقا وبذمة وضمير، بوجود أيٍّ من المكونات والأدوات والعوامل التي تدعو إلى التفاؤل في عراق محتل من شعر رأسه إلى أخمص قدميه، وتُسيره العصا الأجنبية، وتقرر لأهله كيف يتكلمون، وماذا يلبسون، وماذا يأكلون، وماذا يعبدون؟

تكفي زيارة رئيس الوزراء الأخيرة إلى طهران التي تخطّى فيها صلاحيات رئيس حكومة مؤقتة لا يحق له أن يوقّع باسم الشعب العراقي على صك من صكوك الاستسلام.

ومنذ أغسطس من العام الماضي وهو لا يكل ولا يمل من التفريط بهيبة الدولة وسيادتها وجيوشها وما تبقى من ثرواتها من أجل أن يحظى برضا وليّه الفقيه، طمعا في أن يُعينَه على الفصائل المتغطرسة، ثم يوافق بالتفاهم مع الولايات المتحدة على بقائه في الرئاسة.

وزيارتُه إلى طهران هذه المرة كانت الحلقة الأسوأ بين حلقات هذا المسلسل المهين. فقد ألغى فيها تأشيرات الدخول، وفتح أبواب العراق على مصاريعها للمشبوهين وتجار السلاح والمخدرات والمهربين والقتلة والجواسيس، رغم أن العراقيين الذين يحتاجون لهذا الإلغاء ممن يترددون على إيران أقل من القليل.

ثم في زيارة اليوم الواحد هذه قد اغتنم الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي الفرصة لينتزع من ضيفه المستكين المستسلم الضعيف أقصى ما يريده من الدولة العراقية لإيران.

فقد نقلت وكالة "إرنا" الإيرانية الرسمية عنه أنه "طالب حكومة المنطقة الخضراء بأن تلتزم بديونها المستحقة لإيران".

كما طالبها بـ"ضرورة تنفيذ الاتفاق الثنائي في ما يخص مشروع الربط السككي بين الشلامجة والبصرة"، "ودون أي تدخل من جانب القوات الأجنبية".

وأفاد رئيس غرفة التجارة الإيرانية – العراقية المشتركة يحيى آل إسحاق نقلا عن موقع "خبر آون لاين" بأن "حجم التبادل التجاري بين البلدين في الماضي كان يتراوح بين 3 و7 مليارات دولار، فيما يمكن أن يصل في المستقبل إلى 20 و30 مليار دولار".

ثم أعلن المتحدث باسم مصلحة الجمارك الإيرانية عن "ارتفاع حجم صادرات السلع الإيرانية إلى العراق في غضون الأشهر الخمسة الماضية بنسبة 31 في المئة مقارنة بذات الفترة من العام الماضي".

أما الأمين العام للمجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني علي شمخاني فقط طلب من الكاظمي "تجريد التنظيمات الإرهابية من السلاح، ودحرها من إقليم شمالي العراق".

وبحسب وكالة "إرنا" الإيرانية الرسمية فقد أبلغ شمخاني ضيفه بأن "التحركات المتزايدة من جانب التنظيمات الكردية المعارضة في إقليم كردستان العراق مثار قلق للأمن في الحدود المشتركة". ثم طمأنه الكاظمي وأكد له أن "حكومة العراق على استعداد لبذل إمكاناتها السياسية والأمنية لتوثيق التعاون مع دول المنطقة والقضاء على سوء التفاهم الذي يؤدي إلى زعزعة الاستقرار".

ولكن لم يتطرق أي مسؤول إيراني أو عراقي، ولو بالإشارة، إلى النيران اليومية التي يصبها الحرس الثوري على منازل العراقيين في كردستان العراق.

> كيف يمكن أن تنجح الانتخابات القادمة في توليد العراق الجديد تحت حكم القبضة الإيرانية الخانقة الانتهازية الاستغلالية الابتزازية، وأعوانها العراقيين المالكين الوحيدين للسلطة والمال والسلاح، والمجاهرين بولائهم لإيران

والآن نسأل المتفائلين العرب هذا السؤال: فكيف يمكن أن تنجح الانتخابات القادمة في توليد العراق الجديد تحت حكم القبضة الإيرانية الخانقة الانتهازية الاستغلالية الابتزازية، وأعوانها العراقيين المالكين الوحيدين للسلطة والمال والسلاح، والمجاهرين بولائهم لإيران؟

فأحزاب السلطة هي وحدها القادرة على شراء أصوات الناخبين وشراء ضمائر المراقبين الدوليين. وهي المتصرفة القادرة بمفوضية الانتخابات، بالإضافة إلى أن حكومة الكاظمي هي الأعجز عن ضبط الأمن وحماية المرشحين والناخبين ومنع الفصائل المسلحة من التلاعب بصناديق الاقتراع.

فهل يلام العراقيون، والحالة هذه، إذا ما تخلوا عن تفاؤلهم ورموا أحلامهم الوردية في الحرية والكرامة والعدالة في أقرب سلة مهملات؟

فعلى امتداد عشر سنوات ظلوا يتوقعون أن تفقد الولايات المتحدة صبرها على تعديات النظام الإيراني وإهاناته لهيبتها وقواعدها وجنودها وضباطها وحلفائها في المنطقة، فتضطر لخلع هذا الضرس الخايس لترتاح وتريح، فتُكفر عن ذنوبها العراقية وتُخرج العراق الحي من العراق الميت. لكنهم، أخيرا، فقدوا هذا الأمل الجميل.

فقد قرر رئيس الولايات المتحدة التي ابتلتهم بهذا الكابوس البغيض، أن يحمل جنوده وضباطه ويرحل، ويترك نار العراقيين تأكل أحطابهم، ويتسلى بدغدغة الفصائل الولائية من بعيد بصواريخ ومُسيّرات تجرح ولا تذبح، إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا.

فهل بعد كل هذا الهم والغم والليل الفاحم الطويل الثقيل، يحق لأحدٍ عاقل أن يتفاءل؟ أشك في ذلك.

لا تفاؤل في ظل القبضة الإيرانية على البلد